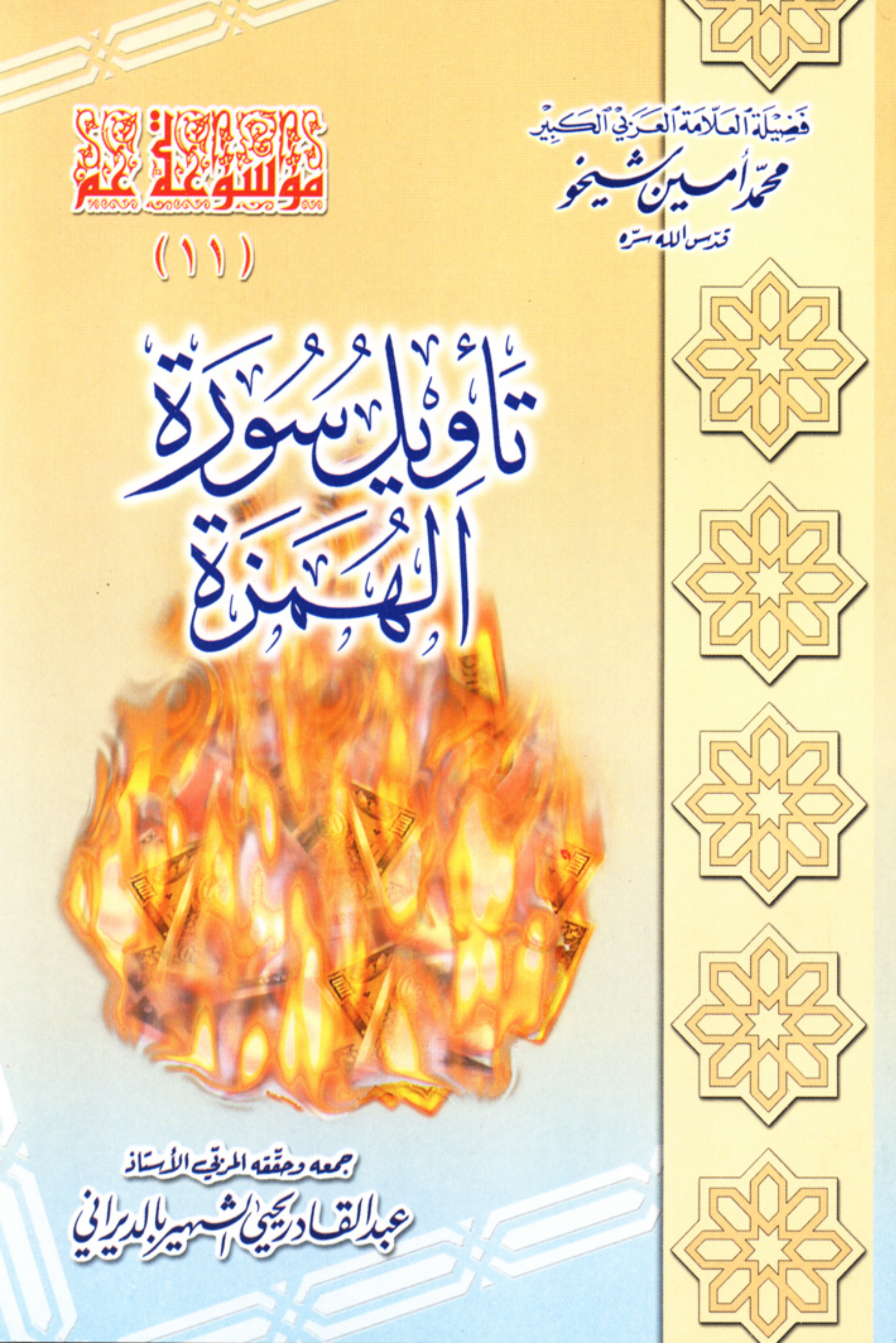


فضيلة العلامة العربي الكبير
محمد أمين شيخو
قدس الله سره
موسوعة عم
(١١)
تأويل سورة الهمزة
جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

INTERPRETATION OF AL-HUMAZA (THE TRADUCER, THE GOSSIPMONGER) FORTRESS | تأويل سورة الهمزة

١٠ AM'MA ENCYCLOPEDIA | موسوعة عم (الجزء ١١)

Authored by:

The great humane eminent scholar
Mohammad Amin Sheikho
His soul has been sanctified by Al'lah
١٩٦٤-١٨٩٠

فضيلة العلامة الإنساني الكبير
محمد أمين شيخو
قدَّس الله سرّه

Checked and Introduced by

The Researcher and Thinker
Prof. A. K. John Alias Al-Dayrani

جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

Published by
Amin-sheikho.com

§§§§

موقعنا على شبكة الإنترنت:
www.amin-sheikho.com
info@amin-sheikho.com

محتويات الكتاب

مقدمة | Preface

سبحانه وتعالى في رحمته، الله جلَّ سناه وتعاظم نور بهاه.. ما أرحمه وما أعظم حنانه بنا لا يترك مناسبة ولا فرصة مواتية لإرشاد هذا الإنسان التائه والأخذ بيده من براثن الدنيا الدَّنية إلاَّ ويسخِّرها حبّاً بنا وبنجاتنا، ولم يخلقنا إلاَّ للسعادة.

فما بال هذا الإنسان وقد حمل ما أشفقت من حمله الأرض والجبال والسموات وما فيهن من مخلوقات، إذ حمل الأمانة، أي بمجيئه للدنيا سيتصل بربِّه ولا ينقطع عنه، ويهتدي بكلِّ أموره بهداه، فيحظى بجنانه وأعطياته العظمى، ولما في عدم صون الأمانة من خسارة تحلُّ بساحة النفس وقد فقدت كل ما خوَّلها الله من عطاء وكرم لم تره عين في دنيا مادية ولم تسمعه أذن بلحن وترٍ موسيقي ولا بوصفٍ من بهرج الدنيا وطيالسها وزخرفها، ولم يخطر على قلب طغت عليه المادة فأرهقته وأصبحت جلَّ همه.

عجباً.. إلى أين المسير، وإلى متى التأميل فما هذه الدنيا بدار البقاء ولا الخلود، فالقبر موعدنا، وللصعيد الذي منه نشأت الخلائق ونشأنا؛ وصعدَت وصعدنا للتراب مآلنا، فعلام نؤمِّل بالدنيا وقد أصبحت معشوقتنا!!. وطغت المادة على قلوبنا حتى أفقدتنا طعم الصلة بالله والتي بها الحياة الحقيقية التي لا تعادلها لذة وحلاوة في الدنيا بأكبر مفاتنها.

لقد بات القلب عطشاناً لأنه لم يشرب من ماء الحياة الغدق الذي أعده الله جل جلاله للطائعين له، فالمادة لا ترويه وتعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، لأنه لو ملك ثروات الأرض وما فيها من مشتهيات لما روَّت قلبه المسكين الذي دفنه وأماته بالمادة، وأضاع نوره وخان الأمانة التي تصدى لحملها طمعاً بعظيم العطاء الذي لا يتصور مدى خيراته.

أما صاحب القلب الميِّت بالدنيا، الأعمى عن نور ربِّه البهي السَّني المحمَّل بالغبطة والحياة.. تبكيه الأنبياء والمرسلين وتتفطَّر عليه قلوبهم

الشريفة النيِّرة المنيرة.. كيف يلهو عن ربِّه ويخون عهده ويظلم نفسه بمادة دنيّة مسخَّرة له لأنه هو السيد وهي المذلَّلة تحت أقدامه.

كيف أصبح مسخراً لها ذليلاً تحت أقدامها!!. فأضاعته وشتَّتت وجودَه وضرَّسته بأنيابها ووطأته بميسمها ملصقةً بنفسه من العيوب التي ستحرقه ألماً وحسرة في اليوم الموعود وإلى النار الموقدة ستضطره لتخفف عنه ألم حسرته ولوعته وذل جاهه المهين الدفين.

فالله يعِظنا: أن تلافَ أمرك يا إنسان وعد لرشدك قبل فوات الأوان، فهذه الدنيا برق غرَّار خدَّاع ولكنه في الآخرة محرقٌ، وهي طيفٌ لكنه راحل، وإن كانت شَهْداً ففيه سمٌّ قاتل.

تقديم المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

Chapter ١ | تأويل سورة الهمزة

بعد أن بيَّنت لنا السورة السابقة "الجزء العاشر" ما حلَّ بأصحاب الفيل، الذين فعلوا ما فعلوا طمعاً في المال والدنيا، جاءت هذه السورة الكريمة تبيّن لنا أن الذي يُحب الدنيا، ويقبل على جمع المال نصيبُهُ الويل والهلاك، وليس له في الآخرة إلاَّ النار. قال تعالى: **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}.**

والويل: هو حلول الشرِّ والهلاك يُصيب الإنسان فيجعله تعيساً معذَّباً ولو كان يملك القناطير المقنطرة من المال، وإن كان صاحب نفوذ وسلطان. وكما في فقه اللغة العربية كلمة **(ويل)** مشتقة من كلمتي: وي أي أتعجب، وكلمة ولَّى: عجباً كم خسرتُ وحرمت نفسي من جنات أعدَّها تعالى لي وكم هبطت منزلتي التي رشحت لها بحملي الأمانة واهمالي لها بالتفاتي لدنيا منقضية وخسارتي الحياة الأبدية.

ولكن لمن هو الويل ومن الذي ولَّت عنه خيراته وسعادته السرمدية؟. بيَّن تعالى ذلك بقوله: **{لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}.**

فمن هو الهمزة؟.

الهُمزةُ: هو الذي غابت نفسه في محبة الدنيا. الهمزة: هو الكثير الهمز الذي أصبح ذلك عادة له. والهمز في الأصل: النَخْسُ، والدفع، والضرب. ومنه المهماز، يُقال: همزَ الفارس الفرس بالمهماز، أي نخسها به فجعلها تندفع في الجري وتُبالغ في العدْو وتسرع به، فهو همَّاز، وهمزة: أي كثير النخس والغمز.

والهُمزة: هنا على حسب مسرى وارتباط آيات القرآن ومعانيه بعضها ببعض، لا تعني ذلك الرجل الذي يدفع الحيوان على الجري، ويحرِّضه على الإسراع في المشي، بل إنها تُشير إلى ذلك الإنسان الذي يدفع الناس بأعماله إلى الانغماس بالدنيا ويحرِّضهم على الانهماك فيها والفساد

ويندفع ويغيب في محبة الدنيا سعياً وراء زينتها كما يغيب المهماز في بطن الفرس.

وقد وردت كلمة **(هَمزاتِ)** في قوله تعالى: **{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}**[1] مشيرة إلى ما تقوم به الشياطين من تخييلات، وما تُلقيه في أنفس المعرضين عن الله من وساوس تحرِّضهم بها على المعاصي، وتدفعهم إلى الوقوع في الجرائم والمخالفات.

وتدخل كلمة **(همزة)** مع الناس في متاجرهم ومنازلهم وأعمالهم حتى وملابسهم وزينتهم.

فالرجل الذي يُزيِّن داره بمختلف الزينات، ويُجمِّلها بأنواع الطلاءات ويجعل لها من الحدائق والشرفات ما يُحرِّق به قلوب الفقراء، ويحرِّضهم على الاندفاع وراء الدنيا، والانهماك بجمعها حُبّاً بتقليده ومجاراته، ينطبق عليه ما تُشير عليه كلمة **(هُمزة)** من معنى. وقد ألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات مرَّة وهو في مسيره مع أصحابه الكرام كوخاً، قد رفع صاحبه بناءه وجاوز فيه ما حوله، وخرج على الناس به بزينته البسيطة الحديثة، فسأل الصحابة عن صاحب الكوخ، فلما كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحضر الرجل المجلس كعادته، وجد من الرسول إعراضاً وعدم التفات إليه، فأحزنه الأمر، وجعل يسأل عن السبب، ولمَّا عرف السبب ذهب إلى الكوخ يُهدِّمه بيده.

والرجل الذي يُزيِّن متجره بالزينة التي ما عرفها الآخرون من قبل، ويُباري بها من حوله فيجعلهم مضطرين إلى التنافس معه في تزيين متاجرهم، ويدفعهم إلى بذل الآلاف من الدراهم في سبيل إظهار متاجرهم بمظهر جميل يفوق الآخرين روعة وحسناً، أقول: هذا الرجل أيضاً ينطبق عليه المعنى الذي وردت به كلمة **(الهمزة)**، وهذه الأموال الطائلة لو أنها صُرِفت في الإحسان إلى اليتيم، والأخذ بيد العاجز ومعونته على نوائب الدهر لكانت خيراً لصاحبها من أن تُصرف في وجوه لا يستفيد

منها الناس، بل توضع أثقالها في أعناقهم ويُكلَّفون بدفعها حيث تُضم إلى أثمان ما يشترون من بضاعة.

أقول: وقد حرَّم الشارع على الرجال لبس الحرير والذهب، لأن الغني بلبسه الحرير والذهب يبعث الحسرة في قلوب الفقراء الذين لا يملكون ما يشترون به حريراً وذهباً، فيجعلهم يندفعون وراء جمع الدنيا لا يُبالون، أَمِنْ حلال أم حرام، حبّاً في أن يكون لديهم ما للغني من الزينة.

أما المرأة فقد سمح لها الشارع بالحلي والزينة في دارها ولزوجها، دون أن تفسد على النساء عيشهن بما تُظهر لهن من حليها وزينتها، ودون أن تفسد على الرجال حياتهم بما تقوم به من التبرُّج والتهتُّك.

وهكذا فكلمة **(الهمزة)** تشمل بين طيَّاتها وصفاً لكل امرئ يُحرِّض الناس ويدفعهم إلى الدنيا، فيخترع ما يخترع ويبتدع ما يبتدع ويُنافس غيره في الاختراع والابتداع طمعاً منه بجمع المال والاستزادة من الدنيا، ولو أدَّى به الأمر إلى إيذاء الآخرين، وإفساد عيشهم وتحريضهم إلى الرذيلة والفساد، والخروج عن الحدود التي رسمها الله تعالى لعباده.

أما كلمة **(اللمزة):** فمأخوذة من اللمز وهو: العيب. يقال: لمز فلان فلاناً، أي: عابه فهو لمَّاز ولمزةٌ. واللمزة: هو العيَّاب وهو أن يعيب المرء على الآخرين في وجههم، أو على مسمع منهم أحوالهم وما هم فيه. وهي هنا وعلى حسب ارتباط المعنى بعضه ببعض لا تعني العيَّاب الذي يقول: فلان داره حقيرة، وذلك متجره متواضع صغير، وتلك ثيابها ذات ثمن بخس، بل إن **(اللمزة):** هو الذي يظهر أمام الناس بمظاهر تُريهم نقصهم، ويخرج على الآخرين بزينة تفوق زينتهم وتبخسها في أعينهم، فإذا رأوا أحوالهم احتقروا النعمة التي هي عليهم، وظهر عيب متاجرهم ونقص منازلهم وبساطة ملابسهم ومفروشاتهم، فإذا هم ناقمون على ما هم فيه من أوضاع، وإذا هم وقد ظهرت لهم رقّة عيشهم، وقلّة ذات يدهم في نغص وحرمان.

واللمزة هنا: هو الذي يعيب نفسه أيضاً بما يلصقه بها من الشُّح والبخل والبغي والحسد وغير ذلك من العيوب النفسية الناشئة عن محبة الدنيا الدنية.

وهكذا فالهمزة واللمزة، وصفان مُرتبط أحدهما بالآخر في معناه.

فالهمزة: الذي اعتاد أن يدفع الناس إلى الدنيا ويحرِّضهم على الاستزادة منها، بما يُظهره لهم من التفوُّق عليهم فيها، هو في الوقت ذاته لمزة، أي: عيَّاب لأنه في تفوُّقه عليهم، وسبقه إياهم في الابتداع يُعيب عليهم أحوالهم ضمناً، إذ يجعلهم يرون ما هم فيه من النقص في دنياهم، وما هم عليه من الحرمان، فهو بآن واحد همزة لمزة.

فالهمزة: هو الذي يغيب منهمكاً في محبة الدنيا الدنيَّة، واللمزة: هو الذي يجرُّ العيوب لنفسه فنصيبيه حلول الهلاك ونزول الشر والبلاء.

وحيث إن الله تعالى أخرج الإنسان إلى الدنيا ليعمل العمل الذي يكون به نفع الآخرين لا أذاهم وفسادهم، وبما أن الهمزة اللمزة امرؤ مُفسد مؤذٍ لغيره ولنفسه، لذلك ومن رحمة الله تعالى بهذا الإنسان أنه لا يدعه يستمر في طُغيانه وأذاه، بل يسوق له في دنياه من الشدائد والمصائب، ويُنزل به من الهموم والغموم ما يجعله في ضنك من العيش، وتبرُّم بالحياة فلعله يتذكر انحرافه، أو يشعر بإيذائه قبل أن يُوافيه الأجل فيردَّ أسفل سافلين وذلك طرف مما عبّرت عنه كلمة **(ويْلٌ)** الواردة في أول هذه الآية الكريمة.

إنه عذاب وشقاء في الدنيا قبل الآخرة، ولعذاب الآخرة أشقّ، ومهما طال الزمن بأولئك الذين يُحرِّضون الناس على الفساد فلا بدَّ لهم من ساعة يفقدون فيها ما لديهم من مال أو ينزلون عمَّا هم فيه من عز وجاه، فيكون مصيرهم المؤلم الذي يصيرون إليه عبرة لهم وعبرة للمعتبرين. قال تعالى: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}**[٢].

هذا وقد فصَّلت لنا الآية الكريمة التالية كلمتي الهمزة واللمزة أحسن تفصيل فقال تعالى: **{الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ}.**

وأنت ترى من خلال هذه الآية الكريمة استخفافاً ضمنياً بذلك الإنسان، وتحقيراً لشأنه.

وإذا أردت أن تُدرك طرفاً ممَّا تضمَّنته هذه الآية الكريمة فتصوَّر نفسك واقفاً أمام بحر عظيم، ألقت أمواجه على شاطئه بكثير من الأصداف المختلفة الأنواع، كما ألقت على مقربة منها كثيراً من اللآلئ والجواهر النادرة الوجود الباهظة الأثمان، وقد اهتمَّ غلام لا يعرف قيمة اللآلئ والمجوهرات بملءِ جيوبه وما معه من حقائب بالأصداف والحصى فرحاً بها، وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً، وكنت أنت تبذل الوسع في نصحه وإرشاده وتطلب إليه أن يكف عن جمع الأصداف، ويغتنم هذه الفرصة الثمينة التي ما يجود الدهر بمثلها فلا يعير إرشادك ونصيحتك اهتماماً والتفاتاً، بل يستمر منهمكاً في جمع الصدف وتعديده على حين تهتم أنت بجمع اللؤلؤ واختيار الكبير الثمين من حبَّاته، أفلا تقول والحالة هذه وأنت ترى ذلك الغلام القليل العقل يفعل ما يفعل: مسكين هذا الغلام إنه يجمع صدفاً!. وفي نفسك ما فيها من احتقار لشأنه وازدراء لهمَّته وعمله.

أقول: وكذلك الأمر بالنسبة للمؤمن والكافر.

المؤمن في دنياه يستزيد من فعل المعروف والإحسان، ويبذل الوسع في اغتنام الصالحات من الأعمال.

والكافر الجاهل ينصرف إلى جمع المال وأكبر همِّه من دنياه جمع المال وتعداده، ولذا حقَّر الله تعالى لنا عمله، وبخَّس في أعيننا مسعاه وجهده لِئلا نُقلِّده، ولا ننحط في جمع المال كما انحط ونكون مثله، فقال تعالى: **{الَّذِي جَمَعَ مَالاً}.**

إنه يجمع مالاً ولم يجمع خيراً.. إنه يجمع مالاً ولم يجمع علماً نافعاً ولا فعل معروف وإحسان ليُقبل به على ربِّه وينال من جنابه تعالى العالي جنات عالية.

وتأتي كلمة { **وَعَدَّدَهُ**} بمعنيين اثنين:

إنها تأتي بمعنى: عَدَّه، أي جعله ذا عددٍ وأحصاه وأخذ يعدُّه ليعرف عدده فرحاً به متطلِّعاً إلى الاستزادة منه.

وتأتي بمعنى آخر وهو أنه: جعله عُدَّة للدهر ووسيلة لتأمين ملاذه وشهواته، فيشتري ما يشتري به من وسائل الترفيه والتَّرف، ويُؤمِّن به ما يؤمِّن من رغائب الحياة الدنيا الدنية.

وهكذا.. فالهمزة اللمزة: امرؤ همّه من دنياه أن يجمع المال ويجعله عُدَّة ظنّاً منه أنَّه بالمال قد أَمَّن لنفسه الحياة الهنية والسعادة الدنيوية الدائمية، وقد أراد تعالى أن يوقظ هذا الغافل المنهمك في جمع المال، من رقدته وينبِّهه إلى خطئه، فقال تعالى: {**يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**}.

أي: وهل يظن هذا الإنسان أنه سيظل في هذه الحياة خالداً فلا يمدُّ له الفناء يداً، ولا يأتيه الموت أبداً!.

هل يظن أن ماله يدفع عنه ملك الموت إذا جاء لقبض روحه وانتزاعها من جسده؟. هل يظن أن ماله يخلِّده فيما هو فيه من دار واسعة، وأهل وعشيرة وشباب وقوة، ونشاط وصحة، وبسطة في العيش ومتعة، وسلطان ومناصب عالية؟.

أفلا يعلم هذا الإنسان أن المال لا يغني عن المرء شيئاً، ولا يدفع عنه مكروهاً، فكم صارت دور الأغنياء إلى الخراب، وكم نزل أرباب الثراء من الأوج إلى الحضيض، فافتقروا من بعد غنى، وذُلُّوا من بعد عز ومنعة، وصاروا إلى المرض من بعد صحة وقوة.

تُرى ماذا ردَّ المال عن هؤلاء، هل أخلدهم فيما كانوا فيه، وهل خلَّصهم مما صاروا إليه؟.

أيحسب هذا الإنسان الغافل والمرء الجاهل الذي جمع مالاً وعدَّده، أن ماله أخلده في هذه الدنيا وأنه سيبقى على ما هو عليه؟.

ألم يعلم بأن الدنيا دار ممر، وليست دار مقر وأنها متاع فلا يلبث نعيمها وشبابها أن يفنى، ولا بدَّ لسرورها من أن يحول، وأنه مهما طال العمر وامتد الأجل فلا بد من الزوال والموت.

وإذن، فعلامَ يجهد هذا الإنسان ويتعب، ولم يشقى وينصب، أيجمع المال لغيره، ويُغامر في جمعه ثم يتركه ويُخلِّفه وراء ظهره لِيُحاسب عليه ويُعذَّب؟.

إنه سيترك المال وسيتركه أبناؤه من بعده.. ما لهذا جئت أيها الإنسان إلى هذه الدنيا، وما أخرجك الله إليها لتشقي نفسك، وما وهبك الحياة لتكون همزة لُمزة، ولا ممن جمع مالاً وعدَّده، وذلك مما أشارت إليه كلمة **(كلاَّ)** في قوله تعالى: **{كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ}**.

وهكذا فكلمة **(كلاَّ)** فيها ردع وتحذير، وفيها توقية لهذا الإنسان.

إن كلمة **(كلاَّ)** تقول: ما أخرجتك أيها الإنسان إلى الدنيا لتهتم بجمع الدرهم والدينار. وما خلقتك فيها لتكون همزة لمزة لِتُحرِّق بدنياك قلوب الفقراء وتُحرِّض الناس على الفساد، فارجع عمَّا أنت فيه، وتوقَّ عواقب هذا السير، واحذر أن تُضيِّع عمرك الثمين سُدى وبما لا ينفعك غداً، وإنك إن لم تنتبه من رقدتك وتتلافَ أمرك قبل انتهاء أجلك، فما أتعسك بعد هذه الحياة وما أشقاك.. ما أعظم عذابك غداً وما أشدَّ حسراتك، وذلك طرف ممَّا أشارت إليه كلمة **{لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ}**.

والمراد بكلمة **(لَيُنبذَنَّ)** أي: ليطرحنَّ، تقول: نبذ فلان التَّمر في الماء، أي ألقاه فيه فإذا هو محيط به من جميع الجهات، ونبذ الشيءَ، أي: طرحه ورمى به.

والحطمة: مأخوذة من حطَّم بمعنى كسر، ومنه الراعي الحطم أي: الظلوم، يسوق الماشية فيحطِّمها. والحطمة: كل شيء شديد يضعف الإنسان ويحطِّمه. والحطمة هنا: هو الشيء العظيم الوقع على الإنسان الذي يحل به فيناله منه ضعف شديد، وأَلم قوي يُحطِّم ما استقر في نفسه، وما توضَّع في صميمه، فإذا به لا يذكر سوى آلامه ولا يرى في نفسه أثراً لشيء.

ويكون ما نفهمه من كلمة: **{لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ}**، أي: ليطرحنَّ فيما يحطِّم ما في نفسه تحطيماً فلا يبقي له أثراً. وقد أراد تعالى أن يُبيِّن لك عظيم شأن الحطمة فقال تعالى: **{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ}.**

أي: مهما تصوَّرت من عظمتها، ومهما توقَّعت من شدَّتها وعظيم أمرها، فما أنت بمدرك شيئاً يسيراً منها.

إنها أعظم من أن توصف بوصف وتُعرَّف ببيان. إنك لا تدري ما الحطمة، ولو أنك عرفتها لما انكببت على الدنيا ولما انهمكت في محبَّتها ولما حرَّضت الناس وشوَّقتهم إليها.

ثم وضَّح تعالى الحطمة بقوله: **{نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}.**

فالحطمة: هي النار، نار الله، وقد نسبها تعالى لنفسه بياناً لشدَّتها.

والموقدة: هي المشعلة الشديدة الحرِّ، تقول: أوقد النار، أي أشعلها، فهي موقدة، أي دائمة الحر، دائمة الاشتعال، لا يفتر حرُّها ولا يسكن عن صاحبها ألم لذعها وحريقها.

وقد خصَّها الله تعالى بقوله: **{نَارُ اللَّهِ}**، لتعلم أنها نار المداواة لا نار الندم والحسرات، إذ النار يوم القيامة ناران:

نار عظيمة تشتعل في النفس فتحرقها تحريقاً لا يطيق صاحبها عليها صبراً. ونار يُداوى بها الإنسان ويُعالج، ونعوذ بالله تعالى من نار الحسرة والخجل، من أن تحرِّق قلوبنا يوم القيامة وتسحق نفوسنا ونعوذ به تعالى من ناره التي لا يُطاق حرُّها ولا يُحتمل ألم حريقها ولذعها.

ثم بيَّن لنا تعالى المواضع التي ستمتد إليها النار غداً من الإنسان والكيفية التي سيُعالج بها أصحاب النفوس الدنيئة والبعد عن الله، فأتبع الآيتين الكريمتين آيتي: **{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}** بآيات أُخرى ختم بها السورة الكريمة فقال تعالى: **{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}.**

وما أراني مستطيعاً تفصيلاً لهذه الآيات الكريمة الأخيرة بأكثر مما وردت به وفصَّلته، لأن النار وماهيتها والكيفية التي ستُطبَّق المعالجة بها على المجرمين في الدار الآخرة، وصفها القرآن الكريم لنا وصفاً وعرَّفنا بها تعريفاً، ولذلك سنكتفي بما أورده الله تعالى من وصف وبيان، ولا نجاوز في شرحنا ما تُشير إليه ألفاظ الآيات الكريمة من معانٍ فنقول:

لقد ذكر لنا تعالى أن الحطمة هي نار الله الموقدة التي تطَّلع على الأفئدة.. فما هي الأفئدة يا تُرى؟.

الأفئدة: جمع فؤاد، وهو قلب النفس ولُبُّها، وموضع العقل منها وحيث أن الفؤاد هو موضع الميل والهوى، ومستقر الشهوات الخبيثة في الدنيا، وبما أن نظر النفس المجرمة وموضع اهتمامها غداً يكون منحصراً في جهة الألم منها، لذلك تجد النار يوم القيامة تطَّلع على موضع الألم من النفس، وهو الفؤاد الذي شغله صاحبه بمحبة الأغيار بدلاً عن محبة الله، فتكويه وتُسبِّب له ألماً شديداً، يجعله يغيب به عن آلام الحسرة والخجل التي ما كان يطيق عليها صبراً.

ثم إنَّ الله تعالى ذكر لنا أن هذه النار إنما تُحيط بالمجرمين إحاطة تامة وما تلْقاه تلك الأنفسِ الملوَّثة من شدَّة الحرِّ وحريق النار. فقال تعالى: **{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ}.**

والمؤصدة: هي المغلقة والمطبقة، تقول: أوصد فلان الباب، بمعنى أطبقه وأغلقه، وأوصدَ القدْر، أي: أطبقها.

وهكذا فالنار يوم القيامة مؤصدة على المجرمين ومحيطة بهم ومطبقةٌ على تلك الأنفس من جميع جهاتها، فلا يستطيعون منها تخلُّصاً ولا يجدون إلى الخروج سبيلاً.

وقد وصفت الآية الكريمة كيفية تطبيق النار وسريانها نحو أفئدة المعذَّبين بها، فقال تعالى: **{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}.**

والعمد: جمع عمود، وهو ما كان على خط مستقيم لا عوج فيه ولا انحراف، كما ينصبُّ لهيب نار الصائغ على القطعة التي يصوغها، فبهذا الوضع العمودي يكون حريقها أكثر وفاعليتها أعظم.

والممدَّد: هو المصوَّب نحو الموضع المطلوب والهدف، فهذه النار إنما تسري ألسنتها نحو مواضع العلَّة من الأفئدة في عمدٍ ممددة فتكوي الفؤاد وتُعالج السقم.

وقد جاءت كلمة **(في عَمَدٍ)** بصيغة الجمع، لتعلم أن المعالجة يومئذٍ دقيقة ومُحكمة، فهي تُصيب موضع العلة وتنفذ إلى المواطن التي استقرَّت من قبل فيها الشهوات والميول الدنيئة من جهات عدة فلا تجد لها مخرجاً ولا مخلصاً، فإذا بالمجرم الذي أرهقته آلامه النفسية، وأخجلته شهواته الدنيئة لا يعود يشعر بشيء من دَناءَته، ولا يرى أثراً في نفسه لآلامه النفسية وحسراته. لقد شغلته آلام المداواة عن آلام الخجل والحسرات، وغيَّبه ألم النار عن ذُلّ الدناءة والعار. وفي الحديث الشريف الذي مرَّ بنا من قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ يقول: « **إن العار ليلزمُ المرءَ يومَ**

القيامةِ حتَّى يقولَ: يا ربِّ لإرسالُكَ بي إلى النارِ أيسرُ عليَّ مما ألقى، وإنه ليعلَمُ ما فيها من شدَّةَ العذاب» [٣]

ونعوذ بالله من حبِّ الدنيا ونعوذ به تعالى أن تكون النارُ لزاماً والحمد لله على كل حال.

والحمد لله الذي جعل الدنيا دار من لا دار له لنعمل للحياة الحقيقية الباقية وتعس عبد الدرهم، وتعس عبد الدينار.

---

[١] سورة المؤمنون: الآية (٩٧-٩٨).

[٢] سورة طه: الآية (١٢٤).

[٣] الجامع الصغير: (٢٠٥٩). (ك) عن جابر (ح).

تأويل سورة الهمزة

بعد كلِّ هذا التحذير والإنذار والوعيد، بعد كلِّ هذه النتائج التي حـدثت وتحدث في كل يوم وليلة، كيف لا نرى من خلالها أن لا منجى ولا سعادة إلَّا بالله ؟!! فما المادة إلَّا ظل قاتم وحجاب كثيف يزيد النفس بُعداً عن الله وذكره، ومن أعرض عن ذكر الله فله معيشة ضنكاً ... كيف يذهب هذا الإنسان ويتمادى في دنياه ولا يتخذ من صالح الأعمال في هذه الدنيا سفناً، كيف له أن يؤمِّل بالمال ويسعى لاهثاً وراء جمعه، مُيتِّماً نفسه من نورها الأزلي الذي منحها الله إياه لتزيده بسعيها وتكسب به الإيمان والصلة بـه تعالى ومحبة رسولها ﷺ الذي به قربها من ربها !!! ...

إذن العبرة للتفكير الجاد بـكلامه تعالى وليس المرور عليه مروراً عابراً بمفيد إن لم نتدبَّر آياته ونجعل لها قراراً بنفوسنا يردعنا أو يبشِّرنا ويرغِّبنا . ولا يتم ذلك إلَّا بالإيمان الحق .

اللهم لا تجعل الدُّنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا ...

هي الدُّنيا تقول بملِءِ فيها
حَذارِ حَذارِ من بَطشيْ وَفَتكي

فلا يَغرركُمُ طولُ ابتسامي
فَقَوْلي مُضحِكٌ والفِعلُ مُبكي





السعر : ١٥ ل.س